

الهجرة القروية نحو المدينة: بين تريف المجال وبدواة الإنسان مدينة امتنانوت نموذجاً - دراسة تحليلية سوسولوجية

الباحث: العربي عكروش
باحث في علم الاجتماع
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مراكش
جامعة القاضي عياض
المملكة المغربية

الملخص:

تهدف الدراسة إلى ملامسة موضوع أثر الهجرة القروية على تريف المجال الحضري لامنتانوت، ورفع مستويات بدواة المقيمين بها. واتبع الباحث المنهج الاستكشافي التحليلي، وقد قام ببناء أدوات البحث بغية تجميع البيانات بطريقة مباشرة، من خلال استجواب عينة من الأسر القروية هاجرت مناطقها الأصلية واختارت الاستقرار بمدينة امتنانوت. وقد تكونت عينة هذه الدراسة من 347 أسرة قروية، قاطنة بمدينة امتنانوت، استخدم الباحث أداة رئيسية لجمع المعلومات والبيانات الخاصة بهذه الدراسة، وهي الاستمارة التي تم تعبئتها، وتم اعتمادها لمعالجة السؤال الإشكالي للدراسة: " إلى أي حد يمكن الحديث عن وجود علاقة جدلية بين ارتفاع وتيرة الهجرة القروية وبروز مظاهر تريف المجال وترسيخ بدواة الإنسان بمدينة امتنانوت كقطب حضاري صاعد بإقليم شيشاوة؟"، والتحقق من الفرضيات المطروحة. وقد جاءت النتائج على النحو التالي: تعمل الهجرة القروية على ترسيخ بدواة التركيب البشري لمدينة امتنانوت، وتعميق مستويات فقدان التوازن بين استمرار التدفق القروي وتحدي التنمية الحضرية، وامتداد هيمنة الخصائص الريفية على التمدد العمراني بالهوامش الحضرية، وتعزيز ازدواجية الوجود الاجتماعي للمهاجرين القرويين بين البدواة والحضارة، كما تعمل الهجرة القروية على تريف المجال الحضري لمدينة امتنانوت محكوم بهيمنة بدواة النشاط الاقتصادي، وبروز هيمنة النزعة القروية على الحركية اليومية للسكان الحضرية، وتأرجح المهاجر القروي بين إغراء الحياة الحضرية وصعوبة الاندماج، واستمرار المواقف المحافظة في التعامل مع المرأة القروية رغم الاستقرار بالمدينة، وتأثيرها بجدلية الحياة الثقافية لمدينة امتنانوت بين الحداثة والبدواة، ومواصلة الضغط على الخدمات الأساسية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة القروية، الحياة الجديدة، بدواة الإنسان، تريف المدن.

مقدمة

تعيش مدينة امتنانوت تحولات ديمغرافية واجتماعية واقتصادية وثقافية، لا يمكن فصلها عن الظروف العامة التي تعيشها معظم المدن الصغيرة والمراكز الحضرية الصاعدة بالمغرب، والتي تعرف تقاطبات اقتصادية جديدة، وتشكل نماذج اجتماعية مغايرة، وسيادة بنيات ثقافية متعددة الروافد والفروع. ويعزى هذا التحول إلى عوامل عديدة، أرث بشكل مباشر على تغيير مقومات الحياة الحضرية، وأفرزت نسقا اجتماعيا مرتبط بالاتجاهات العامة لحركة السكان في الزمان والمكان السائدة في المجتمع المغربي بصفة عامة، وفي المجال الحضري بصفة خاصة. فقد عرفت العديد من المدن المغربية تحولات كمية ونوعية على كافة المستويات، والتي أشرت على ظهور أقطاب حضرية جديدة، تعيش ازدواجية بين البداوة والحضارة في كل مناحي الحياة، وتعرف انتشار سيرورات وانعكاسات طبيعة التغير الاجتماعي الذي طرأ بالمجتمع القروي¹، وانتقال أثره ليشمل المجال الحضري الذي أضحى اليوم يعيش مرحلة انتقالية جديدة من خلال الانتقال من النموذج التقليدي "المجتمع المغلق" إلى النموذج الحديث "المجتمع المنفتح"².

تناول ابن خلدون مبكرا العلاقة الوطيدة القائمة بين البداوة والقبيلة، وأكد ابن منظور في لسان العرب على أن البداوة نقيض الحضارة. بهذا الاستهلال يمكن القول بأن ظهور مفهوم تريف المجال الحضري شكل محطة فاصلة في الدراسات السوسولوجية المعاصرة بالمغرب، إذ يعتبره علي الشعباني مفهوما جديدا استأثر باهتمام العديد من المفكرين السوسولوجيين المغاربة، وحولوه إلى نقطة انطلاق دراسة وتحليل مظاهر العيش في القرى والمدن، ورصد عناصر الاختلاف والتشابه بينهما، وتحديد الطرف الأكثر تأثيرا على الطرف الآخر. ويعود هذا الاهتمام إلى عوامل متعددة، تتمحور كلها حول اتساع نطاق غزو ظاهرة التريف للحواضر، وتأثيرها الكبير على المجال والإنسان. فرغم أن ظاهرة تريف المدن العربية بصفة عامة، والمغربية بصفة خاصة، نتاج مباشر للتحولات التي طرأت على المجتمعات العربية خلال الثلاثين سنة الأخيرة، فإن انعكاساتها المباشرة اتخذت مسارات سريعة ومتناقضة، أفرزت عوالم متعددة في المدينة، تجمع بين المناطق التي حافظت على مميزاتها الحضرية، تتواجد في قلب المدينة، ومناطق تمزج بين الطابعين الحضري والقروي، وتنتشر في الأحياء الشعبية والمحيطة بمركز المدينة، ومناطق تحافظ على بداوتها الأصلية، وتقع في هوامش المدينة وفي الأحياء الصفيحية.

1 - غيث عاطف، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995، ص 83.
2 - المختار الهراس و ادريس بنسعيد، التحولات الاجتماعية و الثقافية في البوادي المغربية. الرباط: منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، 2022، ص 18.

يقود السياق العام المؤطر لهذه الدراسة الميدانية إلى الإقرار بأن ظاهرة تريفيف المجال الحضري لمدينة امتنانوت مظهر لمختلف التحولات التي تعرفها الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمجالية بالمدن المغربية جراء ارتفاع وتيرة الهجرة القروية منذ مطلع الألفية الثالثة، " فمن الظواهر الاجتماعية التي أثّرت بشكل كبير على المدن في المجتمعات، الهجرة القروية. فقد أدّت هذه الهجرة إلى تغيير ملموس في طبيعة المدن، بحيث باتت بعض المدن أشبه بالبادية في عاداتها، وتقاليدها ولهجاتها وحتى طريقة عيشها"¹، وبما أن نسبة التمدن بالحوضر المغربية لا تعزى فقط إلى توافد القرويين الراغبين في الاستقرار في المدن، بل تتدخل فيها عوامل أخرى تشمل على الخصوص، النمو الديموغرافي الذي شهده المجتمع الغربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، والذي ساهم إلى جانب الهجرة القروية، في رفع نسبة التمدن بالحوضر المغربية من 29% المسجلة سنة 1960 مرورا بنسبة 51% سنة 1994 لتستقر حاليا في نسبة 60.30% حسب آخر إحصاء لسنة 2014، حيث يستقر ما يقارب 51% من المغاربة بالمجال الحضري مقابل 49% بالوسط القروي. هذا التحول الجوهري المسجل فيما يخص نسبة التمدن، وكذا عدد القاطنين بالمدن المغربية، يطرح تحديات كبرى على مخططات التنمية والتنظيم العمراني، ومدى قدرة هذه المدن على توفير الشروط الضرورية لاستقبال الأفواج المتزايدة من المهاجرين القروية، والاستجابة لمطالبهم في السكن اللائق، وخدمات التطبيب والتعليم والشغل والترفيه. وبما أن أغلب المدن المغربية عاجزة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا لاستقبال هؤلاء النازحين الجدد من القرى والبوادي، فقد انعكس هذا العجز بشكل مباشر على تغيير معالم الحياة الحضرية في تلك المدن، ورفع من درجة تريفيف مجالها، وترسيخ بداءة سكانها. التحولات التي طرأت على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمجالية بمدينة امتنانوت بسبب الهجرة القروية المكثفة، أفرزت مسارات متعددة في الحياة بين السكان الأصليين والوافدين من القرى، ورسخت أهدافا متناقضة بين الأجيال في المجتمع الحضري، وأفرزت نماذج جديدة في التعامل مع الأرض والمادة والإنتاج والاستهلاك والثقافة والعلاقات والقيم. ففي الوقت الذي كنا نعتقد فيه استمرار نموذج الحضرية بمدينة امتنانوت كقطب اقتصادي واجتماعي وثقافي معاصر، لاحظنا بروز مظاهر جديدة للحياة الريفية بهذه المدينة، تتخذ مسارات مغايرة كليا لما كان مألوفا في صفوف السكان الحضرين، تستهدف تحقيق أهداف متناقضة بين البداءة والحضارة، وتعكس تحولات مجتمعية ممتدة في الزمان والمكان داخل مدينة امتنانوت، مما يجعلنا نتساءل عن الدور الذي

¹ - طارق المعروفي، "بداءة المدينة"، الجريدة الإلكترونية جسر التواصل، 15 ديسمبر 2024،
~:https://jjsrattawasol.ma/archives/126375

لعبته الهجرة القروية في تريفيف المجال وتأصيل بدواة الإنسان بمدينة امتنانوت، وعن مدى قدرتها على تعديل خططها وبرامجها على مستوى الهدف والمقصد والمجال والبنية لكي تواكب التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي خلفها استقرار أعداد كبيرة من القرويين بها، ومن ثم تحليل ما أحدثته الهجرة القروية من أوضاع جديدة للحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والديمغرافية والثقافية والمادية والعمرانية بالمجال الحضري لامنتانوت، ومقارنتها بأوضاعها السابقة قبل تحولها لوجهة مفضلة للقرويين الباحثين عن فرص أفضل للعيش والاستقرار، الشيء الذي سيمكننا من بناء فهم علمي لكيفية اقتران الهجرة القروية ب بروز مظاهر لتريفيف المجال والإنسان بالمجال الحضري. هذه المفارقة الإشكالية التي يثيرها هذا التساؤل، هي التي تستوجب منا ضرورة إعادة قراءة الواقع الاجتماعي الجديد الذي رافق تغير مقومات الحياة الفردية والجماعية بمدينة امتنانوت، ومراجعة الفهم السوسولوجي القائم لهذا التحول، وتوجيه الجهود نحو البحث في دور الهجرة القروية في تغيير السمات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والديمغرافية للسكان الحضريين بمدينة امتنانوت.

مشكلة الدراسة

تنطلق عملية صياغة إشكالية هذه الدراسة من خلال قراءات استكشافية لدراسات نظرية وأخرى ميدانية متعددة، اهتمت بمساءلة قضايا الهجرة القروية ودورها في ترسيخ مظاهر الحياة الريفية بمدينة امتنانوت، وعلاقتها بتحديد طبيعة ومسار التحولات التي طرأت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والديمغرافية للسكان الحضريين. لهذا فالمنطق الإشكالي لهذا البحث، يستهدف تحليل ظاهرة الهجرة القروية، والتساؤل عن دورها في تغيير ملامح الحياة الحضريية بمدينة امتنانوت، وإضفاء خصائص البداوة على مناحي العيش فيها، وإبراز حدود قدرة السكان الأصلية لهذه المدينة على الصمود أمام الأشكال الجديدة للحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المتنوعة القادمة من الوسط القروي بفعل الهجرة. هذا التساؤل يقودنا إلى طرح الإشكالية التالية : "إلى أي حد يمكن الحديث عن وجود علاقة جدلية بين ارتفاع وتيرة الهجرة القروية وبروز مظاهر تريفيف المجال وترسيخ بدواة الإنسان بمدينة امتنانوت كقطب حضاري صاعد بإقليم شيشاوة؟"

إن هذا الطرح الإشكالي للبحث، يمكن من إضفاء مقاربات متعددة في اتجاه التحليل والمناقشة والمعالجة المخصصة له، دون أن ننسى الوقوف عند الأسئلة الفرعية التي تشكل منحنى الإحاطة بكل الجوانب الممكنة لهذه القضية الاجتماعية والاقتصادية، وأيضا في منحنى رصد وتحديد معالم هذه الإشكالية من خلال تناول الأسئلة الفرعية التالية:

- ❖ كيف ساهمت الهجرة القروية في تغيير مظاهر المجال الحضري لمدينة امتنانوت ؟
- ❖ بأي معنى يمكن الحديث عن الهجرة القروية أساس لتغيير العلاقات القائمة بين المدن والبوادي ؟
- ❖ ما هي مظاهر تريفيف مدينة امتنانوت، وما أشكال تمسك سكانها بمظاهر البداوة ؟

فرضيات الدراسة

على ضوء معطيات الإشكالية التي تم ذكرها سابقا، ارتأى هذا البحث مناقشة وتحليل الفرضيات التي يثيرها دراسة الهجرة القروية نحو المدينة بين تريفيف المجال وبدواة الإنسان بمدينة امتنانوت كنموذج، وذلك بناء على المتغيرات المستقلة (الهجرة القروية، المدينة، التريفيف . البداوة):

❖ الفرضية الأولى: نفترض أن بروز مظاهر الحياة الريفية، وتعزيز بداوة الإنسان بمدينة امتنانوت مرتبط بالهجرة القروية المكثفة نحو مدينة امتنانوت جزء من التحولات الاجتماعية والثقافية والاجتماعية التي يشهدها المجتمع القروي.

❖ الفرضية الثانية: نفترض أن عجز الأناسان القروي عن الاندماج في الحياة الحضرية بمدينة امتنانوت، سيؤدي إلى بروز الهجرة العكسية نحو المناطق الأصلية بالوسط القروي.

المفاهيم الإجرائية

يقوم البحث السوسولوجي في قضايا الهجرة القروية وأثرها على تريفيف المجال الحضري لامنتانوت، ورفع مستويات بداوة المقيمين بها، على تحديد المفاهيم الإجرائية المعتمدة في دراسة هذا الموضوع، وتحليل تمفصلاته، واستشراف مساراته المستقبلية، "وتوظيفها لأهميتها وقيمتها في تحليل وحصر جوانب الظاهرة المدروسة من الناحية النظرية"¹، واعتبارها مرحلة منهجية أساسية مرتبطة بإشكالية البحث وفروضه. هذا المعطى جعلنا أولا نوظف المفاهيم الأساسية لهذا البحث (الهجرة القروية، البداوة، المدينة، القرية) في سياقها الإجرائي، وحقلها السوسولوجي المؤطر لهذا الموضوع، والذي يتحدد كمجال فكري وعلمي شبه مستقل عن الاستعمال العام لهذه المفاهيم، ويجسد شبكة من العلاقات المتعددة بينها، والمطبوعة بالتجاذب الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والفكري والرمزي². لهذا، حاولنا

1 - ميري يمينة، "جريدة المدينة والمجتمع بعد إغلاق مناجم الفحم" في السوسولوجية المغربية المعاصرة، دراسات نظرية وميدانية، تنسيق يمينة ميري ومحمد عبد الخلق، مختبر العلوم الاجتماعية والتحولات المجتمعية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش 2019، ص 129.

2 - Pierre Bourdieu, Les règles de l'art, Paris : Seuil, 1992, p353.

استعراض الآراء العلمية حول المفاهيم الأساسية الخاصة¹ بموضوع بحثنا، مسترشدين بمنهجية عملية تنطلق من الاطلاع على تعاريف مختلفة للمهتمين بقضايا الهجرة القروية وأثرها على المجال الحضري، وتصل إلى لحظة صياغة التعريف الإجرائي لهذه المفاهيم الذي يتلاءم مع طبيعة موضوع بحثنا²، وذلك كالتالي:

الهجرة القروية: الهجرة القروية ظاهرة اجتماعية ترتبط بمغارة الساكنة لمقراتها الأصلية بالوسط القروي بسبب الظروف العائلية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية غير الملائمة، والمتمثلة في توالي سنوات الجفاف، وتراجع جاذبية الأنشطة الفلاحية، وارتفاع بطالة الشباب، والتي تجبر الأسر القروية على الموافقة على هجرة أبنائها للبحث عن فرص العمل، وتأمين لقمة العيش لعائلاتهم. وبفعل التغيرات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع القروي، لم تعد الهجرة القروية تقتصر على للذكور، بل تهم الإناث المهاجرات للالتحاق بالزوج أو العمل أو الدراسة، الشيء الذي سمح بظهور ما يسمى بتأنيث الهجرة القروية منذ تسعينيات القرن الماضي.

المدينة: مجال جغرافي واجتماعي واقتصادي وثقافي يستقر فيه عدد كبير من السكان بالنسبة لمساحة الأرض، ويقطنون في شقق فردية أو في فيلات أو عمارات أو أحياء عشوائية، ويمتھنون مهنا مختلفة، يتميز المجال الحضري للمدينة بالتنظيم العمراني والمجال نسبيا بالمقارنة مع المجال القروي، وتنقسم حسب نوع النشاط المهيمن فيها إلى مدن تجارية وأو صناعية أو سياحية أو إدارية، وتتوفر على خدمات متعددة، وبنية تحتية حديثة.

القرية: مجال جغرافي صغير من حيث المساحة، يستقر فيه مجموعة من الأفراد والأسر التي توجد بينها قواسم مشتركة كاللغة والانتماء القبلي أو العرقي، ما يكون عدد سكانه يتراوح ما بين 5000 و100000 نسمة. وينحدر سكان القرية من قبيلة أو عشيرة أو عائلة واحدة.

البداءة: البداءة نقيض الحضارة، تستعمل للدلالة على مميزات العيش في المجتمع القروي أو القبلي، وتقوم على تمسك البدويين بمقومات حياة البساطة، والاحتكام للتقاليد والعادات الموروثة عن الأجداد،

1 - وجب التنبيه إلى أننا سنستعمل في هذا البحث مجموعة من المفاهيم مثل التغير الاجتماعي والبناء الاجتماعي، والتحول الديمغرافي والمجال القروي والوحدة الاجتماعية والأسرة القروية والقيم الثقافية والخصائص الاقتصادية.
2 - تؤكد مادلين قرافيتز حول أهمية التعريف الإجرائي للمفاهيم، وذلك حينما تقول: "يبقى على الباحث أن يعرف ويحدد المفاهيم التي يستعملها" نقلا عن عبد الباسط حسن، أصول البحث الاجتماعي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1963، ص 75.

والارتباط بعلاقات قرابة الدم والمصاهرة والعائلة والقبيلة. ويحيل مفهوم البداوة على مفهوم الانتماء العرقي أو الديني أو الطائفي أو الإثني أو القبلي أو العشائري.

نبذة عن منطقة الدراسة

تم إحداث بلدية امتنانوت سنة 1959، وتعد من بين الجماعات القديمة المتواجدة بالإقليم، وتمت تسميتها بلدية منذ التقطيع الإداري لسنة 1992، تتموقع على الطريق الوطنية رقم 8 على بعد 45 كلم من مقر عمالة إقليم شيشاوة، و117 كلم من مدينة مراكش، و123 كلم من مدينة أكادير. وهي من السفوح الغربية لجبال الأطلس الكبير وهي من الجماعات التابعة والمكونة لجهة مراكش آسفي. ويعود أصل تسمية امتنانوت إلى الاسم الأمازيغي "ايمي ن تانوت" وهو كما يبدو مكون من اسمين أيمي أي فم وتانوت أي البئر الصغير. وتعني كذلك مكان الاستراحة واللقاء وتبادل المعلومات والبضائع التجارية بين مختلف القوافل التجارية الآتية والقادمة من الصحراء كما كان عليه الحال في عهد المرابطين كما تدل على ذلك بعض الآثار والتي لازالت متواجدة حتى الآن في التاريخ المحلي. امتنانوت شكلت إذن صلة وصل بين الجبل والمنبسط، ومحطة استراحة للقوافل التجارية العابرة بين الصحراء وداخل المملكة، وبالتالي كان لها دور مهم في الأحداث التي عرفت المنطقة، ومجال استقطاب للسكان والنمو العمراني منذ ذلك الوقت.

تمخضت مدينة امتنانوت عن التقسيم الإداري لسنة 1992 بمرسوم رقم 2-92-468 بتاريخ 28 ذو الحجة 1412 الموافق ل 30 يونيو 1992 الذي جاء بهدف تلبية حاجيات الساكنة وتقريب الإدارة من المواطنين وتنشيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية¹. وتبعاً لذلك تم تقسيم الجماعة القروية لإمتنانوت المحدث سنة 1959 إلى ثلاثة وحدات إدارية هي: بلدية امتنانوت والجماعات القروية: واد البور وانفيفة. وتمتد بلدية امتنانوت على مساحة 15 كلم² مربع، وفق الإحداثيات التالية: X:171 000 -Y: 70000 و تعتبر مركز دائرة إمتنانوت المكونة من 9 جماعات قروية إضافة إلى البلدية وتنتمي إلى عمالة إقليم شيشاوة جهة مراكش تانسيفت الحوز. يحدها شمالا جماعة انفيفة، و شرقا جماعة سيدي غانم، وجنوبا جماعة عين تزنونت، وغربا جماعة واد البور. هذه الجماعات المجاورة تمثل بالنسبة للبلدية مجالا للتأثير والتأثر سواء من الناحية الاقتصادية والاجتماعية الذي يحكم تطور وتنمية مجالها الجغرافي.

¹ - وزارة الداخلية، المديرية العامة للجماعات المحلية، مركز التوثيق للجماعات المحلية. الجماعات المحلية بالمغرب. الدار البيضاء، 1998.

تنتمي مدينة امتنانوت ومحيطها إلى المنطقة الجبلية للأطلس الكبير، يصل بها مستوى الارتفاع إلى 2000 متر (بين 800 و 1700 بالمنخفض) تبدأ مرتفعة بجهة الشمال، وتنخفض كلما اتجهنا نحو الجنوب الغربي، لتصبح منبسطة على مشارف جماعة انفيقة. أما مناخها فجاف إلى شبه جاف يعرف تساقطات غير منتظمة بمعدل يتراوح بين 200 و 400 ملل في السنة، أما معدلات الحرارة فتتأرجح بين 2° في الشتاء و 43° صيفا، يبلغ معدل المدى الحراري اليومي 13° خلال شهر غشت. وتعرف المنطقة نوعا من الرياح يسمى محليا (الشرقي ثم سيروكو) والتي تهب أثناء الصيف من يونيو إلى شتنبر، مما يتسبب غالبا في تلف للمحاصيل الزراعية كما أن معدل سرعة الرياح يختلف حسب الشهور. وتتمثل مجاري المياه السطحية في واد امتنانوت ذي الطابع الموسمي الذي يقسم البلدية إلى ضفتين الشرقية والغربية و هو من روافد واد شيشاوة ،يبلغ متوسط الصبيب السنوي للوادي حوالي 380 لتر في الثانية. أما الفرشة المائية (المياه الجوفية) فهي تتغذى أساسا من ترسبات مياه الأمطار و مياه الوادي أثناء فترة الجريان. أما نوعية التربة فتعرف سيادة "الحرش" بنسبة 64%، في حين تمثل نسبة "الطين" و "الرمل" على التوالي 23% و 7%.

عينة الدراسة

بدأت إجراءات الدراسة خلال الموسم الدراسي 2022-2023، واختيرت عينة البحث وفقا لشروط أهمها العلاقة المباشرة بالموضوع، حيث روعي في هذه العينة أن تشمل جميع أحياء مدينة امتنانوت، وأن تحترم التقطيع الترابي، والتوزيع الجغرافي للتجمعات السكانية المعتمدة في الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014. ومن أجل ضمان قدرة هذه العينة على تمثيل المجتمع الإحصائي المدروس البالغ 11575 أسرة، تم التأكيد على أهمية حجم العينة، حيث بلغت 347 أسرة، بنسبة تمثيلية تبلغ 3% من المجتمع الإحصائي. وتتوزع هذه العينة على الأحياء المشكلة لمدينة امتنانوت البالغ عددها 17 حيا.

تقنيات جمع المعطيات

إن تنوع المتدخلين والفاعلين في مجال رصد أثر الهجرة القروية نحو المدينة في تريف المجال الحضري لمدينة امتنانوت وبدواة سكانها في مختلف أنساقهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والديمقراطية، وما نتج عن هذه الهجرة القروية من ظواهر أثرت مباشرة على نظام العيش الحضري في المدينة، مما يفرض ضرورة تنويع تقنيات جمع المعطيات الميدانية انسجاما مع الطبيعة الاستكشافية الميدانية للموضوع، وبغية الإلمام الشامل بتفاصيله. وفي هذا الصدد تم اعتماد تقنيتين أساسيتين، هي الاستمارة بهدف جمع أكبر عدد من المعطيات الميدانية حول الموضوع، والملاحظة المباشرة لمتابعة

الظاهرة المدروسة في واقعها الحقيقي، والتي صنف كوسيلة أساسية لجمع المعلومات عن تريف المجال الحضري لامنتانوت، وذلك بالانتقال إلى الأحياء والتجمعات السكانية، والاتصال المباشر بالسكان، وفتح حوار معهم بهدف جمع المعطيات المطلوبة، فضلا عن تعزيز هذا العمل بالبحث الوثائقي الموسع.

طبيعة ونوع الدراسة

إن رغبتنا في إغناء الدراسات السابقة بمزيد من المعطيات والمؤشرات حول الهجرة القروية، وذلك في حدود معرفتنا بالموضوع، تصنف الدراسة الحالية ضمن البحوث الاستكشافية التحليلية التي تتوخى الكشف والتوسع في تحليل جوانب الإشكالية وإغناء التراكم المعرفي للظاهرة بمؤشرات جديدة محينة.

منهج الدراسة

وظفنا المنهج الكمي لدراسة حيثيات إشكالية البحث، والإجابة على أسئلتها، و الذي يعتمد على المسح الاجتماعي الشامل بالعينة، وذلك لأن مجال ومجتمع البحث جد واسعين، فهذا المنهج يتيح جمع معطيات ميدانية كافية نسبيا للدراسة العلمية للموضوع، وبوفر كافة الإجراءات التي تساعد الباحث على اكتشاف الوقائع المختلفة للعمليات، والخطط المعدة لتحقيق تغييرات في المجتمع المستهدف، الشيء الذي يجعل هذه الدراسة المتعلقة بهذا البحث، تجرى وفق المنهج الاستكشافي الاستطلاعي الميداني : حول النماذج والتطورات التفسيرية التي يدلي بها المستجوبون حول دور الهجرة القروية في تريف المجال الحضري لمدينة امتنانوت، وتعزيز بدواة سكانها. ويمكن تبرير اختيارنا لهذا المنهج، دون سواه ،بخصائص ومقاييس الموضوع التي تتناسب في دراستها مع المنهج الكمي، وإمكانية معالجة البيانات بعد تكميمها، وتفرغ المعطيات في جداول تحتوي أرقاما ومعطيات إحصائية، وتسهيل مهمة فهم هذه المعطيات، وتأويلها وتفسير العلاقات القائمة بينها، فضلا عن قدرة هذا المنهج في الجمع بين عمليتي التحليل والتفسير أثناء العمل على المعطيات الميدانية.

الإطار الزمني والمكاني للدراسة

يتحدد إطار هذا البحث في ثلاثة حدود رئيسية، الحد الأول يتعلق بالتحديد المكاني، حيث تم مدينة امتنانوت كمكان لإجراء الدراسة لاعتبار أساسي، يتجسد في كونها هذه المدينة مجال جغرافي واجتماعي واقتصادي وثقافي لظهور أشكال تريف المجال الحضري بفعل الهجرة القروية. والحد الثاني ينصب على التحديد الزمني، حيث أجريت الدراسة خلال الفترة الربيعية من عام 2023 وذلك بالتوزيع المباشر

لأدوات البحث، والحد الثالث اهتم التحديد الموضوعي، حيث تم تحديد الاطار الموضوعي للبحث باستطلاع اراء وتصورات ساكنة مدينة امتنانوت حول تأثير الهجرة القروية على نمط عيشهم ومجالهم.

دواعي الدراسة

تجلت في اعتبارين أساسيين، أولهما اعتبار ذاتي، يتجسد بالخصوص في معرفتنا لهذا الموضوع الذي ارتبطنا به من حيث التكوين والنشاط المهني المتراكم، من هنا فإن هذا العامل سيساعدنا إلى حد كبير في إجراء الدراسة في ظروف مناسبة. ينضاف إلى ذلك الرغبة والاهتمام الشخصي بتحول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأفراد والجماعات، وثانيهما اعتبار موضوعي، يتمثل في ضرورة معرفة الواقع الحقيقي لمعرفة كيفية ودور الهجرة القروية في تريف المجال الحضري لمدينة امتنانوت، وتعزيز بدواة سكانها، وتحقيق مقارنة ميدانية لكل تجلياته، بحيث تعتبر هذه الدراسة ضرورة علمية وشرط أساسي لمواجهة التحديات المتنامية التي يفرضها الموضوع.

أهمية الدراسة

يعتبر البحث العلمي في ميدان الدراسات السوسولوجية فرصة سانحة، وبابا مفتوحا للغوص في خبايا الظاهرة المدروسة، ومعرفة خلفيات عملية الملاحظة اليومية لها، فهو وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بفضل اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا¹. لهذا تستند أهمية الدراسة إلى عدد من الاعتبارات، فالواقع العلمي يبرز أن الأبحاث العلمية التي تباشر قضية مظاهر وتجليات تريف المجال الحضري لمدينة امتنانوت قليلة تعد على رؤوس الأصابع نظرا لما تمثله هذه القضية - كما سبق أن أشرنا - من حساسية وخصوصية، فلا تخفى على أحد أن الدراسات التي تتناول هذه القضية تأخذ طابعا نظريا وتقنيا محضا. وفي هذا السياق يمكن تصنيف هذه الدراسة ضمن الأبحاث التي تواجه هذه الإشكالية ميدانيا في الواقع الاجتماعي. كما تتسم هذه الدراسة بالجرأة في طرح القضية للنقاش العلمي، حيث تباشر الدراسة هذه القضية على الرغم من حساسيتها في إطار معالجة القضايا المجتمعية مهما كانت درجة حساسيتها وخصوصيتها. ونتوخى من هذه الدراسة، كما تم الإشارة إليه في مدخل هذا البحث، دراسة تحول مسارات ومجالات الهجرة القروية إلى مجال للصراع بين المجالين الحضري والقروي.

¹ - أحمد بدر، أصول البحث العلمي و مناهجه، دولة الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة الخامسة، 1979، ص 19.

تفسير النتائج

تشهد مدينة امتنانوت كقطب حضري صاعد بإقليم شيشاوة توافد سكان جدد من الجماعات المجاورة منذ الثمانينات من أجل الاستقرار، وتفادي الانعكاسات السلبية لتوالي سنوات الجفاف، وضعف المحاصيل الزراعية، وتراجع مردودية الاقتصاد المحلي. هذه الهجرة القروية تختلف عن تلك التي تشهدها المدن الكبرى مثل مراكش وأكادير، ففي امتنانوت فعدد الوافدين من المهاجرين القروين يفوق بكثير عدد المغادرين لهذه المدينة، كما أن الهجرة القروية تجمع بين الهجرة الجماعية والعائلية الدائمة، والهجرة الفردية المؤقتة. فقد ساهمت سنوات الجفاف المتتالية بالجماعات المجاورة لمدينة امتنانوت، وكذا التطور الذي عرفه المجال الحضري على مستوى البنى التحتية والخدمات الأساسية في جعل امتنانوت مجالا مستقطبا يمارس جاذبيته على ساكنة الجماعات المجاورة، "فسكان القرى يهاجرون إلى المدن لأسباب عديدة، منها الأمل في تحسين أوضاعهم المعيشية، أو نظراً لتواجد الفرص الاقتصادية والتعليمية والصحية في المدينة، أو لأسباب اجتماعية واقتصادية أخرى. ومع انتقال أعداد كبيرة من القرويين إلى المدينة، يحمل هؤلاء معهم عاداتهم وتقاليدهم، مثل اللباس واللهجات والطقوس الاجتماعية"¹. وهذا ما يجعل من ساكنة امتنانوت في الوقت الحالي خليطاً من الأصول المختلفة من أمازيغ (سكساوة . دمسيرة . متوكة). أحمر سباعيين وحتى من بعض الوافدين من أقاليم أخرى كخريبكة جريدة وسوس.

تستوجب منهجية البحث العلمي المعتمدة في الدراسات السوسولوجية ضرورة استثمار المعطيات الميدانية لأهميتها في تحديد حدود ومجالات تريف المجال الحضري لمدينة امتنانوت. وعدم قدرتها على التخلي على الحالة الريفية البدوية وتبنيها النموذج الرأسمالي الحديث². ويتأسس هذا الاستثمار على المصادر المرجعية التي تعزز ما توصل إليه البحث الميداني من معطيات إحصائية، تخص مميزات البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمجالية لمدينة امتنانوت، وتقارن دور الهجرة القروية في تريف مجالها الحضري، والتي حولتها إلى ما أكده محمد بنجدي بقوله "إن مدناً عبارة عن قرى متحضرة، وسياراتنا خيلٌ حديدي وطرقنا سبلٌ نقطعها ركباناً كقوافل البعير والإبل. نظرةً سوسولوجية لعالمنا الذي تغزوه العشوائية ويغلبُ عليه منطقُ الاندفاع واختراق قانون المدينة والمكان العام"³. فبفعل

¹ - طارق المعروفى، مرجع سابق.

² - محمد عيد أسعد فايز، مدخل إلى علم الاجتماع، دراسة نظرية في فهم المجتمع، منشورات دار الفيلس الثقافية، 1984، ص76.

³ - محمد بنجدي، نقلاً عن عبد الله عبد الله، تقاليدنا البدوية.. والمدينة المسخ، المدونة الإلكترونية

للجزيرة، 2019/1/24، <https://www.aljazeera.net/blogs/24/1/2019>

الهجرة القروية، تعيش مدينة امتنانوت تحولات جوهرية في بنيتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والديمغرافية نتيجة تظافر العوامل الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمجالية، والتي هيأت الشروط المادية لتغير مختلف مؤسسات ومكونات المدينة، والتي "تعرف ديناميكية واضحة، ساهمت في تغير نمط عيش الساكنة الذي أصبحت تهيمن عليه الأنماط الحضرية الدخيلة على المجتمع القروي"¹.

النتيجة الأولى: ترسيخ بدواة التركيب البشري لمدينة امتنانوت

أثرت الهجرة القروية المكثفة على البنية الديمغرافية لمدينة امتنانوت خلال العقود الثلاثة الأخيرة، مما يثير تساؤلا جوهريا حول ما إذا كان التحول الديمغرافي الذي عرفته المدينة ناتج عن ارتفاع النمو الديموغرافي الطبيعي أم عن هجرة قروية. فباحثواها لـ 17067 نسمة، تحتل مدينة امتنانوت المرتبة السادسة على مستوى الجهة ضمن التجمعات الحضرية الصاعدة، وهي بذلك تفوق بلدية شيشاوة (15643)، ونظرا لموقعها الجغرافي وسط محورين طريقيين (الطريق رقم 8 والطريق الجهوية رقم 212) وبعدها النسبي عن المراكز الحضرية الكبرى على مستوى الجهة، يجعلها مؤهلة للقيام بدور مؤثر في تنمية و تأطير محيطها.

تعرف مدينة امتنانوت نمو ديمغرافيا متزايدا منذ سنة 1982 مقارنة مع باقي جماعات الإقليم، 1982، فقد سجلت الساكنة المحلية تزايدا ملحوظا خلال الفترة 1982-2014 وذلك بسبب ارتفاع معدل النمو الطبيعي. ورغم تسجيل انخفاض نسبي لهذا النمو في السنوات الأخيرة، ظل معدل نمو الساكنة على العموم في تزايد مستمر، وذلك راجع بالأساس إلى تنامي ظاهرة الهجرة القروية نحو المدينة. وبالمقارنة مع مدينة شيشاوة، يمكن ملاحظة أن مدينة امتنانوت تسجل معدل نمو سكاني أقل، لكنه يظل مستقرا عموما. وعلى العكس من ذلك، تعرف معدلات النمو بالجماعات القروية المجاورة لمدينة امتنانوت تناقصا ملحوظا، الشيء الذي يجد تفسيره في هجرة ساكنة هذه الجماعات نحو امتنانوت. و هو ما يؤدي إلى طرح تساؤلات حول ما يمكن أن يصاحب الهجرة القروية من توسع حضري و استراتيجيات خلق البنيات الاجتماعية الأساسية وتوسيع القاعدة الاقتصادية بشكل يضمن خلق فرص الشغل على المستوى المحلي مما يفرض تحديد الأولويات منذ الآن سواء من حيث تأثير هذا التزايد على

1 - عبد الوهاب الحبيب و تهامي ديبون، "التحولات الاجتماعية بالمغرب منطقة وزان نموذجا"، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 15، دجنبر 2021، ص 45.

القدرة الاستهلاكية، وتوزيع الأنشطة الاقتصادية وكذلك التجهيزات المدرسية، الصحية، السوسيو ثقافية والرياضية وكذلك فرص العمل التي تم خلقها.

تهيمن الساكنة الشابة على التركيب الديمغرافي لمدينة امتنانوت بنسبة 53,8 % لمن تقل أعمارهم عن 25 سنة، بينما تمثل الساكنة أقل من 15 سنة أكثر من الثلث أي 33% مقابل 31,3% على المستوى الوطني. أما الأطفال أقل من 5 سنوات فيمثلون 9,9% مقابل 8,11% على المستوى الوطني. فالهرم السكاني لساكنة مدينة امتنانوت يتميز بقاعدة عريضة، لأن الساكنة في مجملها شابة وفتية، هذه الوضعية راجعة بالأساس إلى ارتفاع معدل الخصوبة، واتساع نطاق الهجرة القروية، والتي خلقت نماذج جديدة من التحولات الديمغرافية في هوامش مدينة امتنانوت بفعل ارتفاع أفواج الوافدين عليها من الجماعات الترابية والقبائل المجاورة، وأثرت على تراجع معدلات النمو بهذه المناطق.

انعكست بشكل مباشر على رفع أعداد الفئة العمرية بين 15 و 59 مقارنة مع الفئات الأخرى، وذلك راجع بالأساس إلى أن جل الوافدين على المدينة يحركهم العامل الاقتصادي المتمثل في البحث عن فرص الشغل، والاستفادة من جودة التجهيزات والخدمات الاجتماعية المتوفرة. وبسبب هيمنة الذكور على جنس المهاجرين القرويين، فإن نسبة الإناث تبقى منخفضة على العموم، مما ينعكس على صعوبة إدماج المرأة في النسيج التنموي المحلي للمدينة، وتباين معدل نشاط الساكنة بين الجنسين يقدر ب 29,3% (50,6% لدى الرجال و 8,6 % لدى النساء) الشيء الذي يوضح أن معدل النشاط لدى النساء لا زال ضعيفا مقارنة مع المعدل المسجل لدى الرجال، لكن في الواقع فكلا الجنسين من الوافدين من العالم القروي يعانون من ندرة فرص الشغل داخل المجال.

النتيجة الثانية: فقدان التوازن بين استمرار التدفق القروي وتحدي التنمية الحضرية

كرس نشاط الهجرة الداخلية تعدد صور تريفيف المجال الحضري لامتنانوت، والمتمثلة في انتشار تربية الحيوانات بالمناطق السكنية، وفي الشوارع العامة، وعلى أسطح المنازل، فالمهاجر القروي حينما يغادر بلدته الأصلية، يقصد المدينة ببنيته الذهنية القروية، وبممتلكاته الحيوانية، وبأنشطته الاقتصادية التقليدية، فلا يقيم أي اعتبار لخصوصيات العيش في المجال الحضري. واعتبارا لاستمرار معدل الهجرة الداخلية الحالي بزيادة سنوية تقدر ب 2,9%، فإنه من المحتمل أن يصل تعداد الساكنة المحلية بمدينة امتنانوت إلى الضعف في غضون العشر سنوات القادمة، مما يفرض تحديد الأولويات منذ الآن، من حيث تأثير هذا المتزايد على القدرة الاستهلاكية، وتوزيع الأنشطة الاقتصادية، وتحسين التجهيزات المدرسية والصحية والسوسيو ثقافية والرياضية، وتوفير فرص العمل التي يجب خلقها. ويفسر هذا التدفق الكبير

للقرويين على الاستقرار بمدينة امتنانوت ، بالضغط الذي تمارسه الهشاشة الاجتماعية والتدهور البيئي في دفع القرويين لمغادرة المناطق النائية والجبلية، وإغراءات مناطق الجذب الاقتصادي، وقلة فرص الحصول على الشغل، وغياب الأنشطة المدرة للدخل، وضعف الاستثمارات القروية، وتدهور ظروف عيش الساكنة بفعل توالي سنوات الجفاف، وانخفاض مستوى المؤشرات الاجتماعية، وعدم كفاية التجهيزات الأساسية.

تتوفر مدينة منتانوت على تصميم للنمو العمراني يعود إلى سنة 1985 أنجزته مصالح الإقليم عندما كانت دائرة إمنتانوت تابعة إداريا لإقليم مراكش، وبعد ارتقائها إلى بلدية ومنذ سنة 1998 أصبحت تعتمد على تصميم التهيئة الذي انطلق العمل به منذ سنة 1998 واعتمد في إنجازه على صور جوية مأخوذة سنة 1991، هذا التفاوت الزمني خلق اختلالات عدة كان من نتائجها عدم احتوائه لثلاثة أحياء حالية تسميرو، أكادير وامسا، ودوار القصبة الفوقانية إلا في السنوات الأخيرة. وتشكل الهجرة القروية أهم عامل في استمرار هذه الاختلالات بسبب تأثيرها الواضح على وضعية المناطق المتجانسة، النظام العقاري للأراضي، والمناطق المهددة والتي تشكل موضوع الارتفاق بعدم البناء، هذا الخلل الذي يتسم به النظام العمراني لمدينة امتنانوت يعبر، كما يقول أيوب المسعودي¹، على ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالوسط القروي. وتحول الهجرة إلى عنصر بنيوي في التأثير على المجال الحضري المغربي، خصوصا في المناطق الصاعدة والمهمشة، فالهجرة القروية بأنواعها ومميزاتها، وخصائصها، تتفاعل مع التغيرات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع الحضري بنيويا ووظيفيا، مما يجعل "إمكانية التفكير في الهجرة أمرا واردا لدى معظم الأسر بهدف تحسين ظروف عيشها بهدف إعادة إدماجها داخل النسق الجماعي وإعادة بناء علاقاتها القرابية، التي أصبحت توجيها وتتحكم فيها ظروف أنتجتها قيم مدنية وخصاص اقتصادي"².

النتيجة الثالثة: هيمنة الخصائص الريفية على التمدد العمراني بالهوامش الحضرية

يرتبط التوسع الحضري بمدينة امتنانوت بالدينامية الديموغرافية التي غدتها الهجرة الداخلية³ من مختلف المناطق القروية، والتي عملت على مضاعفة الساكنة الحضرية للعديد من الجماعات القروية. وتتخذ الهجرة الداخلية بمدينة امتنانوت اتجاهين أساسيين، الاتجاه الأول صوب هوامش مدينة

¹ - للإطلاع على المزيد من المعطيات حول الموضوع، يمكن الرجوع إلى مقال أيوب المسعودي حول الثقافة القروية وعائق الاندماج <https://al3omk.com/492004.html>

² - عبد الرحيم عني، الأسرة القروية بالمغرب: من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، 2014، ص 177.

³ - عبد الغني الدباغي ويوسف ابتخدجو، محمد ميوسي، "سياق التمدين والتخطيط الحضري بالمغرب"، مجلة التخطيط العمراني والمجال، المجلد الثاني، العدد الخامس، أيلول/ سبتمبر 2020، ص 57.

امنتانوت، يقصدها المهاجرون القادمون من مناطق امتوكة وسكساوة وامزوضة ودمسيرة، الراغبون في التخفيف من انعكاسات توالي سنوات الجفاف، والاستفادة من تطور البنى التحتية والخدمات الأساسية لامتنانوت. ونتج عن الاستقطاب الكبير للمهاجرين القرويين، تريف مظاهر حضرية، وظهور بؤر للسكن العشوائي بحي تكاترت، والقصبة التحتانية، وحي بيزضاخ وحي تكاترت، وتعدد الأجناس المكونة لساكنة امتنانوت، والتي تشمل أمازيغ سكساوة، ودمسيرة، ومتوكة، وعرب أحمر سباعيين، واتجاه ثان يخص الاستقرار بقلب مدينة امتنانوت، ويهم الوافدين من أقاليم أخرى كخريكة جردة وسوس.

تبرز مظاهر تريف المجال الحضري لمدينة امتنانوت من خلال علاقة التلازم المسجلة بين الهجرة القروية وكيفية تنظيم الهيكل العمراني للمدينة. فبالإضافة إلى العامل الجغرافي لموقع المدينة الذي يجعل الطبيعة الجغرافية (جبل لمكو و جبل اوركوس) للمنطقة تتحكم في توزيع الأحياء و الدواوير ثم توسع المدينة ، والسياق التاريخي لنشأتها، عملت الهجرة القروية على التحكم في كيفية انتظام توزيع السكان والسكن بالمدينة، والذي جعل تطور العمران يتركز بشكل متواز على طول ضفتي الوادي لضمان القيام بثلاثة وظائف : مراقبة حركة المرور بين الجبل والمنبسط، تم الوظيفة المخزنية أو الإدارية إلى جانب الوظيفة التجارية. فالبناء العمراني اليوم في مدينة امتنانوت "لا يتطابق المعايير مع سياسة المدينة بقدر ما يتطابق مع قدرة صاحبها المادية على بناء ما يستطيع أن ينفذ إليه رأسماله"¹، فقد غيرت الهجرة القروية جذريا من خصائص ومكونات النسق العمراني القديم الذي كان يميز المدينة إلى عهد قريب، والذي يتكون أساسا من أحياء أفلاتنلات ، تكاديرت، سيدي علي أوسحاق، ليشمل لاحقا باقي الأحياء الحديثة النشأة. هذا التحول الذي طرأ على هذا النسق، جعل مورفولوجية إمتنانوت الحالية مكونة أساسا من منطقتين سكنيتين: المنطقة السكنية الحضرية الممتدة على طول ضفتي الوادي وباقي الأحياء، تم المنطقة السكنية التي تتميز بطابعها القروي في شمال المدينة. فالسكن المكون من الطابق الأرضي+ الطابق الأول، هو النمط السائد حاليا بمعظم أحياء امتنانوت، والذي يتوافق مع الطبيعة الشبه حضرية للمدينة، مما يؤكد أن التطور العمراني للمدينة مرتبط إلى حد ما بالعلاقة المتينة التي تربط مدينة امتنانوت بمحيطها القروي، سواء على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، "مبرهنة بذلك على عقلية المهاجر القروية المتوارثة عن طريق نقل سكان القرى للمدن، وهي العملية التي بنيت على أساسها كل المدن في المغرب"². فقد بينت عملية تشخيص المجال العمراني التي أنجزتها وكالة التنمية الاجتماعية

¹ -عبد الله عبد الله، مرجع سابق.

² -عبد الله عبد الله، مرجع سابق.

بإقليم شيشاوة، أن تأثير الهجرة القروية ملموس في توجيه مسار وطبيعة النسق العمراني لمدينة امتنانوت، والذي يتوزع حاليا إلى ثلاثة مناطق:

- منطقة السكن الحضري: الذي يتواجد بأغلب الأحياء، حيث المنازل مبنية وفق نمط هندسي متناسق، جل الأبنية لا تتعدى الطابق الثاني أو الثالث.
- منطقة السكن ذات الطابع القروي: (شمال وجنوب المدينة) حيث المساحات كبيرة نسبيا والبنيات لا تتعدى الطابق الأرضي.
- منطقة السكن ذا طابع خاص : الذي يتواجد خاصة بالحي الإداري، وهو يمثل في سكن يعود بناؤه إلى الفترة الكولونيالية.

يرتبط هيمنة السكن المغربي القروي التقليدي بمدينة امتنانوت بتوابع الهجرة القروية، إذ يمثل نسبة تفوق 85% مقابل 15% للشقق والفيلات. كما يمثل السكن غير المنظم نسبة 70% من مجموع السكن، وخاصة في المناطق المهددة بخطر الفيضانات مما يستدعي إعادة هيكلة هذه الأحياء على غرار حي القصبة التحتانية الذي تم إعادة هيكلته، مما يقف عائقا أمام التوسع العمراني المنظم بالمدينة إلى جانب البنية العقارية محكومة بالطبيعة الطبوغرافية ذات الطابع الجبلي التي تجعل 80% من المساحة للمجال الحضري لمدينة امتنانوت غير صالحة للبناء أو التعمير. وغم التأثير الكبير الذي تمارسه الهجرة القروية على البناء العمراني لمدينة امتنانوت، تبقى بنية الملكية المتواجدة بامتنانوت تقارب إلى حد ما تلك المسجلة بالوسط الحضري الوطني من حيث النسبة التي يشكلها كل نوع، فنسبة المالكين و المكترين معا تشكل نسبة 87% في المستويين معا، المستغلون للمساكن عن طريق الكراء يشكلون حوالي 30% كمعدل وطني حضري ، بينما على المستوى المحلي 20%. الشيء الذي يجد تفسيره في بداية انتشار نمط حضري للاستغلال بالمدينة على حساب النمط القروي القديم. وبالمقارنة مع مدينة شيشاوة، نلاحظ أن النسيج العمراني لمدينة إمتنانوت أكثر قدما، إذ أن نسبة 36% من البنيات يتجاوز عمرها 20 سنة، بينما 27.1% منها عمرها 10 سنوات و 23.5% يتراوح عمرها بين 10 و 19 سنة. فمعظم المهاجرين القرويين يختارون السكن بالأحياء القديمة والشعبية والهامشية، والتي تفتقر للخدمات الاجتماعية الأساسية والبيئة المعيشية. هذه الأحياء تشهد نمو سكاني سريع (أفلانتلات، ازوران، تازروت وإغزر نتسرفين)، تعتبر منطقة جذب لساكنة الجماعات المجاورة. وهنا يتعلق الأمر بطبقات اجتماعية تهاجر بهواجس مختلفة، تتراوح بين البحث عن بيئة أكثر راحة، والسعي إلى تحسين ظروف العيش

والبحث عن الشغل. كما أن جزء آخر من المهاجرين يفضلون الاستقرار بالدواوير التي تمكنهم من امتلاك وعاء عقاري كبير كأكاير وامسا، تشمير، القصبة التحتانية والفوقانية.

النتيجة الرابعة: ازدواجية الوجود الاجتماعي بين البداوة والحضارة

أدت الهجرة القروية المكثفة إلى ظهور نماذج جديدة مغايرة كلياً أو جزئياً لما كان معهوداً في نموذج الحياة الحضرية، فقد بتنا نشهد تزامن الحركة الأفقية والعمودية والعشوائية لتنقل الأشخاص والسلع والخدمات، والتي استوجبت ضرورة إعادة تشكيل البناء الاجتماعي لكي يستجيب لمتطلبات ازدواجية الحياة بالمدن بين البداوة والحضارة، ويلبي حاجيات أنشطة الإنتاج وسلوكات الاستهلاك الجديدة التي بدأت تنمو في المدن، وتأثيرها المباشر على تغيير طبيعة الوظيفة الاقتصادية الأصلية لهذه المدن. فالحديث عن تأثير الهجرة القروية على تكريس ظاهرة تريف المراكز الحضرية الصاعدة يقود إلى استحضار علاقة القرية بالمدينة كعلاقة اجتماعية وتنظيمية ومجالية واقتصادية وثقافية، والتي غيرت هذا العلاقة من علاقة التبعية إلى علاقة التكافؤ المستمر بين المجالين الحضري والقروي، وساهمت في اختفاء النموذج الواحد لاستقرار القرويين المهاجرين بالمدينة، وظهور أنماط عديدة لهذا الاستقرار تبعاً لتعدد أشكال حركية السكان الدائمة والمؤقتة، واختلاف خصائصها الديمغرافية، وبنائها الاجتماعية، وجذورها التاريخية، وأهدافها الاقتصادية، وانتماءاتها الحضارية، وسماتها الثقافية. ويمكن تشبيه وضعية امتنات حالياً بالوصف الذي وصف به عبد الرحمان منيف مدينة بغداد حينما قال: "المدن العربية، بتكوينها وعلاقتها، لا تزال تحمل الكثير من تكوين وعلاقات ما قبل المدينة، أي أنها في طور النشوء والتكوين، ولذلك فهي واقعة تحت تأثير العلاقات غير المدنية. لو أخذنا بغداد، على سبيل المثال، نجد أن المدينة على الرغم من اتساعها، وزيادة سكانها مرات مضاعفة قياساً لفترات سابقة، فهي واقعة تحت تأثير العلاقات غير المدنية لأنها امتداد للأرياف والبلدات المحيطة بها"¹.

تختلف مستويات تأثير مدينة امتنات بظاهرة تريف الحياة الحضرية جراء الهجرة القروية حسب الأحياء والتجمعات العمرانية ومناطق الاستقطاب الاقتصادي والتجاري والخدماتي، فإذا كان الامتداد الحضري يعم مختلف الأحياء والتجمعات، فإن تأثير الهجرة القروية في احتفاظ بعض هذه الأحياء بالطابع البدوي، يشكل تحدياً كبيراً للسكان، ليس فقط بسبب سرعة وتيرة النمو الحضري لهذا الأحياء، وإنما كذلك بما تعرفه من تزايد أعداد المستقرين فيها، سواء بسبب النمو الديمغرافي الهائل أو بسبب تفضيل

¹ - عبد الرحمان منيف، رحلة ضوء، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2012، ص32.

المهاجرين القرويين الاستقرار بهذه الأحياء لتواجد أفراد من عائلاتهم أو قبائلهم من قبل، وارتفاع فرص تأجير السكن بسومة كرائية منخفضة أو اقتنائه بأثمنة مناسبة أو العمل على تشييده دون عراقيل مادام أن هذه الأحياء تعرف انتشار البناء العشوائي، وينطبق هذا الوصف على أحياء القصبة التحتانية وسيدي علي اوسحاق وتازروت وتاشميرو وتكارت وافلانتلات. فهذه الأحياء التي استقبلت العدد الأكبر من المهاجرين القرويين، يقترن وضعها بالميزات الاجتماعية والاقتصادية التي يغلب عليها الطابع القروي، والتي تزيد من مستويات أزمة التنمية الحضرية الهادفة إلى إدماج المهاجرين عن طريق تحسين المداخل و ظروف العيش. كما تعاني هذه الأحياء المتواجدة في المحيط الغير المهيكل من ضعف الولوج إلى الخدمات الأساسية ونقص في الأنشطة المدرة للدخل. فاستمرار الهجرة القروية من الممكن أن يجعل الفجوة المجالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية تزداد عمقا بين المناطق الحضرية والمناطق القروية بمدينة امتنانوت.

النتيجة الخامسة: تريف المجال الحضري لمدينة امتنانوت محكوم بهيمنة بدواة النشاط الاقتصادي

تعد مدينة امتنانوت ثاني مدينة بإقليم شيشاوة، ومركز النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للنصف الجنوبي للإقليم، وترتبط بها العديد من الجماعات القروية. فرغم التمدن الكبير الذي عرفته مدينة امتنانوت في السنوات الأخيرة، والتي ارتقت تصنيفها في خانة المدن الصاعدة، إلا أن تفاقم مظاهر تريف الحياة الحضرية فيها بسبب الهجرة القروية، كان وراء بقاء هذا المدينة ضمن المجالات الشبه الحضرية. فقد نتج عن استقرار أفواج المهاجرين القرويين بمدينة امتنانوت منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي، تشويه نسيجها الجمالي المجالي، والإخلال بتصميمها العمراني، وتناسل الأحياء الصفيحية والعشوائية بشكل كبير، ومعاناة ساكنها من نقص التجهيزات والبنيات التحتية والخدمات الضرورية، مما جعل برامج التخطيط والتنمية تبقى عاجزة عن التصدي لنتائج النمو الحضري السريع والعشوائي، ويفسر "وجود علاقات بداخلها يحكمها منطق البداوة: علاقات اجتماعية، اقتصادية، دينية، طقوسية"¹.

تعد الهجرة القروية العامل الأول لانتشار ظاهرة تريف مدينة امتنانوت، والتي تتفاقم بسبب انتشار الهشاشة الاجتماعية، وارتفاع مستويات الفقر، ومحدودية النمو الاقتصادي، واختلاف مستويات الرفاه الاجتماعي بين المناطق الداخلية والأحياء العصرية (المركز التجاري والحي الإداري وتجزئة

¹ - محمد برزوق، المدن العربية وجدلية الحداثة والبداوة، جريدة القدس العربي، عدد 18 شتنبر 2012.

القدس) والمناطق الهامشية والأقل نموًا (تاشميرو وتكاترت واكدير وامسا)، فقد تحولت هذه المناطق بفعل الهجرة القروية إلى تجمعات عمرانية عشوائية وغير مهيكلية، تستقطب أعدادا متزايدة من الوافدين من الجماعات والقرى القريبة، والتي ستعمل على تصدير مظاهر التريف من هوامش مدينة امتنانوت إلى الأحياء العصرية فيها، والتي تعرف بدورها انتشار ظاهرة العربات المجرورة بالدواب، والمستعملة في نقل المواد والأشخاص، وظهور ازدواجية المجال الحضري، ومجاورة المنشآت العمرانية العصرية إلى جانب للمساكن القروية، وتقاسم العربات المجرورة ووسائل النقل العصرية للسير والجولان بالطرق والشوارع، واختلاط صوت الباعة الجائلين قرب أرقى مطاعم المدينة بأصوات الموسيقى العصرية.

يؤثر استمرار العلاقة التي تربط الإنسان القروي بالحيوان رغم هجرته للمدينة، في نقل حياة البداوة إلى المجال الحضري لامتنانوت، بحيث تختار أغلب الأسر القروية المهاجرة استعمال أسطح المنازل لتربية الدواجن والماشية، واستقرار الأنشطة الاقتصادية للمهاجرين القرويين بالمركز التجاري لمدينة امتنانوت، والتي تهيمن عليها أنشطة الاقتصاد غير المهيكل، كممارسة الأنشطة الفلاحية بالمناطق الهامشية، وعلى ضفاف الوادي المار بوسط المدينة، وامتهان تجارة الرصيف والباعة المتجولون، فحوالي 16,7% من ساكنة امتنانوت يصنفون في خانة الفقراء، و24,38% منهم في وضعية هشّة ومهددين بالفقر، كما أن نسبة 34,2% من هذه الساكنة نشيطة، 3% منها تشتغل في الفلاحة، 30% تمارس التجارة، 10% حرفيون، و14% في مهن إدارية لتبقى 14% منها دون شغل وتعاني من البطالة. أما معدل النشاط، والذي يشكل النسبة بين السكان النشيطين وإجمالي عدد السكان. فإن منخفض بالنسبة للجنسين مقارنة مع المسجل على المستوى الإقليمي والوطني، حيث يبلغ 29,3% مقابل 33,6% و 36,8% (8,6% بالنسبة للنساء)، وهذا يعني أن 4991 شخصا نشيطا يقابله 9593 شخصا غير نشيط. ويفسر هذا الارتفاع الكبير في صفوف السكان غير النشيطين بالعدد الضخم للنساء البالغات سن العمل واللواتي يفضلن المكوث في البيت. وهو وضع يمكن إرجاعه إلى البنية الثقافية التي يعتبر الرجال مسؤولين عن إعالة أسرهم. ومن خلال المقابلات التي أجريناها مع سكان الأحياء التي تعرف استقرار المهاجرين القرويين، يتضح أن البطالة مرتفعة نسبيا مقارنة مع السكان الأصايين، ويفسر هذا الارتفاع بموسمية الأنشطة التي يمتنعها أغلب المهاجرين، وبضعف مساهمة المرأة في النشاط الاقتصادي.

النتيجة السادسة: هيمنة النزعة القروية على الحركية اليومية للساكنة الحضرية

تشهد مدينة امتنانوت توافد تيارات كبيرة من المهاجرين الوافدين عليها يوميا من المناطق القروية والجماعات الترابية المجاورة، خصوصا المنتمية إداريا إلى مناطق امتوكة وامجاط ودمسيرة وسكساوة

وادويران وامزوضة. الشيء الذي يجعل هذه المدينة، كنموذج للمناطق الحضرية الصاعدة، تعيش في دوامة حركة السكان والبضائع، تغيب معها إمكانية الحديث عن وجود حدود فاصلة بين الحياتين القروية والحضرية، وتحولت على إثرها مدينة امتنانوت إلى تجمع قروي كبير، يزاوج بين مظاهر مادية وعمرانية حضرية، وسلوكات ومواقف بدوية. وهو ما يفسر هيمنة النزعة القروية على الحركة اليومية للسكان الحضرية بامتنانوت، وينعكس على استمرار ساكنتها عيش حياة مزدوجة، تجمع بين تبني المظاهر المادية المنتشرة في المدن والحوضر، والتمسك بمقومات الهوية الثقافية والرمزية القروية. فرغم التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والديمغرافية التي لحقت الوجود البشري بالمدن، استطاعت هذه الثنائية التي تطبع حياة الأفراد والجماعات بمدينة امتنانوت الصمود أمام انعكاسات هذه التحولات على الأقل في الوقت الراهن، واستمر "نقل نمط الحياة القروي صوب المدينة، الذي فرض نفسه على الساكنة الأصلية، الأمر الذي يفسر طبيعة السلوكات البدوية في الحياة اليومية؛ إذ رغم اندماج هذه الفئة التي يطلق عليها البعض اللقب القدحي "العروبي"، إلا أنها مازالت متشبثة بالعقلية البدوية، وهو ما يُعرف بالبدواة المقتنعة"¹.

عملت الهجرة القروية الكبيرة التي عرفتتها مدينة امتنانوت في العقد الأخير من القرن العشرين على تغيير جوهر العلاقة القائمة بين المجال الحضري والمجال القروي، فلم تعد عوامل الهجرة القروية تقتصر فقط على البحث عن فرص الشغل، والتجاوز كل العوائق الاقتصادية والاجتماعية والمجالية التي تعيق طموح القرويين في تحسين مستوى عيشهم، بل اتسع نطاق هذه العمل ليشمل ما هو ثقافي ووجداني، إذ يقيم القروي علاقة قوية بين تحقيق الرفاه الاجتماعي والثقافي والنفسي بالاستقرار بالمدينة، والتخلص من كل ما يربطه بالقرية، وهو ما يؤسس لحركة سكانية اتخذت في المرحلة الأولى اتجاه واحدا من القرى إلى المدينة، قبل أن تغير هذا الاتجاه في المرحلة الثانية، والذي مهد لظهور الهجرة القروية العكسية من المدينة إلى القروية لتجاوز الفشل المهني والاقتصادي الذي عانى منه المهاجر القروي خلال تواجده بالمدينة.

تؤدي صعوبة اندماج المهاجرين القرويين في المناطق العمرانية العصرية بمدينة امتنانوت، ومعاناتهم مع التأقلم مع النمط "المديني"، يؤدي إلى تعزيز الطابع القروي و البدوي في الأحياء السكنية التي

¹ - مصطفى شاكري، "تزييف الدار البيضاء" .. مظاهر البدواة تزحف على العمران والإنسان، الجريدة الإلكترونية هيسبريس: الأربعاء 30 يناير 2019 - 15:15 - https://www.hespress.com/public_author

يقطنوها¹، واستمرار تعلقهم بقيمتهم وتقاليدهم الموروثة، واختيارهم الاستقرار بالأحياء الهامشية إلى تكس الأفواج الجديدة للوافدين من القرى المجاورة بمساكن صغيرة وعشوائية متواجدة في مناطق جغرافية معرضة للفيضانات، وفي أحزمة عمرانية، تهيم عليها مظاهر الفقر الاقتصادي والهشاشة الاجتماعية، وتفتقد لأدنى شروط العيش الكريم من كهرباء وماء صالح للشرب وقنوات الصرف الصحي، وتعاني مشاكل اجتماعية صعبة الانحراف والدعارة والأمية والبطالة.

النتيجة السابعة: تأرجح المهاجر القروي بين إغراء الحياة الحضرية وصعوبة الاندماج

يواجه القرويون المهاجرون إلى مدينة امتنانوت صعوبات متعددة في الاندماج في الحياة الحضرية، وتبني مظاهر العيش فيها، وترتبط هذه الصعوبات باختيار هؤلاء المهاجرين الاستقرار في الهوامش بعيدا عن مركز المدينة، ورغبتهم في تفادي اصطدامهم المباشر بالصعوبات المادية التي يستوجبها اقتناء الأوعية العقارية بالأحياء الراقية، والتكيف مع مستلزمات غلاء العيش في هذه الأحياء. وما يزيد من هذه الصعوبة، هيمنة الإحباط على المهاجر القروي الذي يصطدم بواقع حضري جديد، حطم طموحه في التخلص من أزمات الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية التي عانى منها بمقر إقامته الأصلية بالقرية، وبين محدودية ربط تحقيق النجاح الشخصي والمهني والعائلي بالعيش بالمدن والحوضر. وهو ما يفسر رغبة العديد من المهاجرين القرويين في العودة إلى الاستقرار بالقرى. فقد عبرت نسبة 35% من المستجوبين عن رغبتهم في مغادرة مدينة امتنانوت إلى قراهم الأصلية بسبب عطالتهم الدائمة، وقلة فرص العيش الكريم، وعدم قدرتهم على تحمل تكاليف إضافية ناتجة عن متطلبات العيش في المدن، وعجزهم عن توفير سكن لائق لأسرهم، واضطرارهم لممارسة أنشطة غير مهيكلة كالتجارة بواسطة العربات المجرورة والأنشطة الموسمية. فالهجرة القروية "تؤدي إلى تغييرات مادية وفكرية واجتماعية واقتصادية، كتغيير حاجات الناس وأفعالهم وظهور نماذج جديدة وتغيير الأسواق وزيادة البطالة وعدم إشباع المدارس للتلاميذ وتشتيت نسق العائلة، وتغيير الایدولوجيا والعقائد"². فالهجرة القروية ستوسع نطاق حركة الأسر القروية المستقرة بمدينة امتنانوت، وستتحول إلى جزء من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجال الحضري، وحركة اجتماعية عمودية وأفقية، تمس جميع فئات المجتمع، فمن الطبيعي أن تصنف ضمن العوامل الهامة المساهمة في التغير الأسري والاجتماعي، وخلخلة البنى الثقافية والاقتصادية والديمغرافية

¹ - طارق المعروف، مرجع سابق.

² - الشيخ شويخة وسنة فتحة، التغير الاجتماعي وأثره على التمثلات الاجتماعية للمرأة العاملة دراسة ميدانية على عينة من الأفراد بولاية الجلف. الجلفة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، 2019، ص 28.

القائمة¹ بمدينة امتنانوت. فالهجرة القروية تركز حركية السكان غير المستقرة بين المناطق الطاردة والمناطق الجاذبة، وتسهل عملية الانتشار السكاني بين المناطق الجبلية الطاردة للسكان المحلية، والمناطق السهلية المستقطبة للاستقرار بهوامش مدينة امتنانوت، والمحتضنة للأنشطة الاقتصادية الجديدة.

عاشت الأسر القروية التي استقرت مبكرا بمدينة امتنانوت في نهاية القرن العشرين نقلة كبيرة في ممارساتها وأدوارها الاجتماعية، وتعرضت لتغيرات جذرية على مستوى البناء الاجتماعي والدور الوظيفي والمكون البشري. فالواقع الاجتماعي لمدينة امتنانوت اليوم، يظهر أشكالا عديدة من التنظيمات الأسرية القروية، تختلف باختلاف المنابع الثقافية والجدور التاريخية والانتماءات الحضارية للمناطق القروية التي ينتمي إليها المهاجرون القرويون، ويصل هذا التعدد إلى درجة يمكن فيه رصد هذه الاختلاف على مستوى الأسرة القروية الواحدة. وعموما، فقد عجلت العوامل الثقافية والقوى الاجتماعية في تحديد شكل وحجم الأسرة القروية الجديدة التي ظهرت بمدينة امتنانوت، وتحديد ووظائفها، وخلق نسق جديد، ينسجم مع الشروط التي تستوجبها الحياة الاجتماعية المعاصرة بالمدينة، وتحرير مجالات ومواضيع ومستويات وأساليب التفاعلات الداخلية والخارجية لأفراد الأسرة. ورغم قيمة وأهمية كل هذه التحولات، تبقى الأسرة القروية المهاجرة المستقرة بمدينة امتنانوت، غير قادرة على التغير بشكل متوازن مع سرعة التغيرات في النظم الاجتماعية الأخرى، وهو ما يجعل الحياة الجديدة للمهاجرين اليوم عرضة للاضطرابات الاجتماعية والتوترات التفاعلية والأزمات الاقتصادية والمشاكل الثقافية، وتجعلهم يقبلون العيش في مجال اجتماعي وثقافي واقتصادي مركب، بشبه ما سماه محمد برزوق "بمستودع للتناقضات، حيث مظاهر التحديث والحداثة تتعايش جنبا إلى جنب مع مظاهر التخلف والفوضى وعلامات ما قبل الحداثة"².

النتيجة الثامنة: استمرار المواقف المحافظة في التعامل مع المرأة القروية

تميز سعي المهاجرين القرويين بالاندماج في الحياة الحضرية بامتنانوت بالقبول التدريجي لمسايرة عملية التغير الجذري التي لحقت نظام العيش في القرى، والتي تسير في اتجاه تمكين الأسرة القروية المهاجرة من قدرات التعايش مع متطلبات الحياة الحضرية المعاصرة، والتي تستجوب التخلي عن بعض المواقف الاجتماعية السائدة بالوسط القروي، والتي تهم على الخصوص قضية تطوّر مكانة دور المرأة

¹ - عبد الرحيم عنبي، مرجع سابق، ص 147.

² - محمد برزوق، مرجع سابق.

في الحياة الجديدة بالمدينة، وإعادة ترتيب أولوياتها وتصوراتها، سواء في علاقتها بزوجها وأبنائها، أو في رؤيتها لمجموعة من المقومات التي يقوم عليها البناء الأسري الجديد، فقد انتقلت الرؤية النسائية بصفة خاصة، والنظرة المجتمعية القروية بصفة عامة بمدينة امantanot، بالنسبة لموضوع الزواج من وضعية التقديس والواجب والفريضة، إلى وضعية الاختيار والرغبة. فلم تعد المرأة المهاجرة تشعر بالضرورة الملحة للزواج المبكر، وارتفعت نسبة القبول بالعزوف عنه بين المهاجرين القرويين، وبرزت مواقف تشجيع الفتيات نحو التحصيل العملي قبل الزواج، والبحث عن أسباب تحقيق الاستقلال المادي عن الأزواج. وواكبت عملية تغيير التصور الاجتماعي نحو الزواج، تنامي تصور آخر متفرع عن التصور الأول، ولا يقل أهمية عنه، يعمل على تجديد مقومات الزواج التقليدي المعروف في المناطق القروية، ويعطي مجال أوسع للتعارف بين الذكر والأنثى قبل الإقدام على خطوة الاقتران والزواج، خصوصا ما يتعلق بإلغاء العوائق الثقافية والاجتماعية التي تحاصر هذا التعارف القبلي بين الجنسين، وتوسعت منصات التواصل الاجتماعي والتعارف العاطفي بين الجنسين لاكتشاف إمكانيات تحويل علاقات محتملة لبناء كيان أسري بينهما، وزاد من غنى هذا التواصل عبر التعارف كثرة وسائل وتقنيات التواصل التكنولوجي والاجتماعي

النتيجة التاسعة: جدلية الحياة الثقافية لمدينة امantanot بين الحداثة والبداءة

تشكل الثقافة الحضرية مجالا بارزا لتأثر مدينة امantanot بتعدد الروافد الثقافية التي رافقت استقرار أفواج المهاجرين القرويين الوافدين عليها من قبائل حاحا والشيظمة وأولاد بوالسبع ودمسيرة وسكساوة وامتوكة وأحواز مراكش. هذا التعدد الثقافي يشكل الجانب الأبرز لتريف الحياة الحضرية لمدينة امantanot، وإضفاء الطابع البدوي على مختلف الأنشطة اليومية فيها، فقد ساهمت الهجرة القروية في انتشار قيم ومظاهر الاحتفال القادمة من القرى في جميع أحياء المدينة، والتي تحولت إلى مجالات جغرافية وعمرانية تسمى بأسماء القبائل المستقرة فيها، وتشكل بنيات ثقافية متعددة، ترتبط بأصولها التاريخية والعمرانية والبيئية والسوسيوقرافية، وتحتفظ بانتمائها البدوي في جوهرها، وتظهر خصائص التحضر في مظاهرها الخارجية. هذا التناقض الذي تعيشه ساكنة مدينة امantanot على المستوى الثقافي، نتج عنه تشكل مجموعتين كبيرتين للمهاجرين القرويين، مجموعة تضم المهاجرين القرويين الذي تمكنوا من الاندماج الكلي في الثقافة الحضرية، وتبني مظاهر الحياة المدنية المعاصرة، وتشكل على الخصوص من الشباب والطلبة الذين استقروا حديثا بالمدينة، واختاروا التخلي عن أصولهم القروية مقابل الاستفادة من الفرص التي توفرها المدينة من خلال مشاريعها المادية والسياسية والثقافية. ومجموعة ثانية تتشبث

بكل مقومات حياتها البدوية، وتسعى إلى تجسيد ارتباطها الهوياتي والجغرافي بالقرية في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ويشكل كبار السن معظم المنتمين لهذه المجموعة.

يتسم الوجود القروي بمدينة امتنانوت من الناحية الثقافية بالتجانس القيمي والوحدة المعيارية، فالإنسان القروي يعيش في حياته اليومية بالمدينة، وجوداً ثقافياً واحداً بكل مكوناته المهنية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية، يقيم علاقات قوية مع إرثه الثقافي ويتشبث به، ويدافع عنه أمام أجناس ثقافية أخرى تحاول أن تقتحم عالمه الخاص، فهو لا يقبل التخلي عن تراثه، ويتفاعل فيه وينفعل به. فالإنسان القروي يتعرف بسهولة على مجتمعه الصغير بالمدينة اعتماداً على عناصر مشتركة كاللغة والعقائد والأعراف وأنماط السلوك، وهذا هو ما أطلق عليه إميل دوركايم "التضامن الآلي"، الذي يسود هذه المجتمعات التقليدية ذات الحجم الصغير نسبياً، والتي يتصف سكانها بالتجانس والتشابه في طريقة الحياة، وتقسيم العمل، والارتباط القوي نظراً لمعرفة كل منهم بالآخر، واشتراكهم سوياً في احترام القيم والسلطة العامة. فالمهاجرون القرويون يختارون التلاحم الاجتماعي بمدينة امتنانوت، ويتعدون عن الفردانية في السلوك والميول والاختيار؛ لهذا فالتنشئة الاجتماعية تتم وفق مقياس ثقافي معياري لتربية الأبناء على منوال حياة آبائهم، فالحياة في العالم القروي تتسم بالبساطة تفرض من القرويين تجنب مظاهر التعقيد الموجودة في المدينة، والابتعاد عن الكماليات والانشغال بالضروريات .

النتيجة العاشرة: الضغط على الخدمات الأساسية

أدت الهجرة القروية منذ مطلع الثمانينات من القرن الماضي إلى ارتفاع مستويات الاكتظاظ الديموغرافي في جميع أحياء مدينة امتنانوت، وبروز مناطق جديدة للتطور العمراني غير المخطط له، وتعميق درجات المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للسكان، مما يجعل برامج العمل والتجهيز غير قادرة على ضمان استدامة التنمية الشاملة، وعلى تلبية الحاجيات المتزايدة من الخدمات الأساسية، ويستوجب بذل مجهودات إضافية لقوية وتعزيز البنى التحتية بالمدينة.

تعاني مدينة امتنانوت من انقطاعات متكررة للماء الشروب، خصوصاً في فصل الصيف، وذلك بسبب نقص الصبيب بالنسبة للأسر القادمة من العالم القروية والتي تشترك في عداد واحد، وكذا الطبيعة المورفولوجية للمدينة حيث تقع أغلب التجمعات السكانية للمهاجرين القرويين في مناطق مرتفعة يصعب وصول الماء إليها. نفس الأمر ينطبق على شبكة التطهير السائل التي يعود تاريخ انطلاقتها بامنتانوت إلى سنة 1960 وهي مكونة من مقطعين يشطر بينهما الوادي، وتتأثر بدورها بمشاكل مرتبطة بالتكوين الجغرافي للمنطقة، والذي يحرم الأسر المستقرة بالدواوير والأحياء المرتفعة من الاستفادة

المستدامة رغم إنجاز محطة تصفية المياه العادمة. أما تدير النفائات الصلبة فقد شكل دائما تحديا كبيرا للمدينة بسبب ارتفاع نسبة الساكنة، واستقرار أفواج جديدة من القرويين في مناطق صعبة ومرتفعة وأزقة ضيقة بأكاير وامسا، القصبة التحتانية، و الفوقانية، يصعب ولوجها لجمع النفائات التي تلقى في مطرح عشوائى على الطريق الجهوية 212 الرابطة بين امتنات ومراكش مروراً عبر جماعة ادويران و الزاوية النحلية. وقد ساهمت الهجرة القروية خلال السنوات الأخيرة في رفع كمية النفائات الصلبة اليومية إلى 10 أطنان يوميا. ولمعالجة هذا التحدي، عمل المجلس البلدي لمدينة امتنات إلى تفويت هذا القطاع إلى شركة خاصة في إطار التدير المفوض. بالنسبة للكهرباء، وحسب المكتب الوطني للكهرباء بامتنات، بلغ معدل التغطية بالتيار الكهربائي بلغ 100%، وهو بذلك يتجاوز المعدل الإقليمي، لكن رغم لك، تبقى بعض المنازل داخل الأحياء/ الدواوير التي تأوي المهاجرين القرويين الجدد تفتقر إلى الكهرباء، إذ تحصل على الإنارة من منازل أخرى) نتيجة عدم إدراجها في تصميم التهيئة. وتبقى الخدمات الصحية غير كافية أمام الأعداد المتزايدة من المهاجرين، مما يفسر اللجوء إلى الطب التقليدي والتداوي بالأعشاب اللذان يشكلان البديل للطب الحديث، وخاصة في المناطق المهمشة بمدينة امتنات. أما معدل الأمية فلا زال مرتفعا 37,8% كمعدل عام، تتوزع بين 52.9% لدى النساء و 23,3% لدى الرجال، هذه الأرقام تقارب تلك المسجلة على المستوى الحضري الإقليمي 39,3%، تتوزع بين 25% لدى الرجال مقابل 53% لدى النساء.

خاتمة

تقوم الحياة القروية على مجموع من المبادئ الأساسية، تشمل الطابع البدوي الذي تتسم به المجتمعات القروية، واعتمادها الكبير على النشاط الفلاحي وتربية الماشية في تأمين حاجاتها اليومية، وبناء العلاقات العائلية والاجتماعية على أساس رابط قرابة الدم والقبيلة. هذه المميزات تجعل الهجرة القروية لا تقتصر فقط على تمكين المجريين من القرى والبوادي على الاستقرار بالمدن فقط، بل يتسع نطاق تأثير هذا الهجرة ليشمل تسريع وتيرة حدوث التحولات الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية والثقافية التي تعرفها المدن المغربية، خصوصاً المراكز الحضرية الصاعدة، وتعزيز مستويات الانفجار الديمغرافي الذي تشهده هذه المراكز، والذي يساهم في الرفع من حجم التمدن بها، وتنازل الأقطاب الحضرية الجديدة في هوامش المدن الكبرى. فأمام الوتيرة المتسارعة التي يعرفها التحضر والتمدن بمختلف الأحياء، توجد امتنانوت في موقع يحتم عليها أن ترقى بمجالها القروي ليوكب هذه التغيرات. فلقد أدت الهجرة القروية إلى تمدد التوسع العمراني العشوائي والضغط على البنيات التحتية، وعدم مسايرة الخدمات الأساسية للزيادة السكانية الحالي، و بالتالي يمكن أن يؤدي إلى تزايد الفقر والتهميش الاجتماعي. فرغم أن امتنانوت أصبحت مركزاً حضرياً بعد التقسيم الإداري لسنة 1992. لكن كثافة الهجرة القروية حالت دون رقيها إلى منطقة حضرية بمواصفات عصرية. فعدم كفاية التجهيزات ووالخدمات، وضعف مستوى المرافق الاجتماعية والثقافية، ووجود السكن العشوائي، وانتشار "الأحياء العشوائية" التي تم دمجها في المدينة، وظهور مشاكل التعليم والماء الشروب والكهرباء والتطهير مؤشرات واضحة على شبه تحضر مدينة امتنانوت.

الببليوغرافيا

❖ المراجع والكتب

- ✓ إبراهيم مبارك الجوير، الأسرة والمجتمع دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار عالم الكتب، 2009.
- ✓ أحمد الغزوي، التنمية الترابية بالمجال القروي المغربي: الواقع والآفاق حالة جماعتي المزابيح وتوغليت بإقليم سيدي قاسم نموذجاً، منشورات مكتبة أكاديميا العربية
- ✓ أحمد بدر، أصول البحث العلمي و مناهجه، دولة الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة الخامسة، 1979.
- ✓ أميرة طاهر وبونيف سامي محمد، "ظاهرة الهجرة في المنطقة الأورومغربية الحركيات و التدايعات : دراسة في تأثيرات التحولات السياسية ما بعد 2011"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد 7، عدد 2، 2020.
- ✓ حنان رجائي عبد اللطيف، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في الريف المصري بعد ثورة يناير 2011، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية، منشورات معهد التخطيط القومي، القاهرة، 2015
- ✓ زكرياء الإبراهيمي، الصحة والمجتمع: دراسة سوسولوجية للصحة والمرض بالمجتمع القروي المغربي، فضاء آدم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2016.
- ✓ زكرياء الإبراهيمي، "حول الدين في العلوم الاجتماعية"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، شتنبر 2013.
- ✓ الشيخ شويخة وسنوة فتيحة، التغير الاجتماعي وأثره على التمثلات الاجتماعية للمرأة العاملة دراسة ميدانية على عينة من الأفراد بولاية الجلف. الجلفة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، 2019.
- ✓ عبد الباسط حسن، أصول البحث الاجتماعي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1963.
- ✓ عبد الرحمان فضلي، "الإصلاح الديني اليوم في القرى المغربية "المخزن" وفقهاء الشرط في تيزنيت"، مجلة عمران، العدد 24، ربيع 2018.
- ✓ عبد الرحمان منيف، رحلة ضوء، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2012.
- ✓ عبد الرحيم عنبي، الأسرة القروية بالمغرب: من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، 2014
- ✓ عبد المنعم عفيف، ديناميات المقدس في المجتمع القروي - دراسة سوسوانثروبولوجية - " ضريح سيدي امحمد بن لحسن اجانا بتيسة نموذجاً"، منشورات جمعية أجيال للتربية المستدامة، سنة 2021
- ✓ عبد الهادي أعراب، مؤسسة الفقيه بالمجال القروي: دراسة لتغير مكانة وأدوار فقهاء الشرط بالمغرب، نص المداخلة الذي ألقى في الندوة التي نظمتها مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث تحت عنوان "إشكالية الدين والتدين: أسئلة، مقاربات، نماذج"، الرباط، المغرب، بتاريخ 5.6 أكتوبر 2013
- ✓ غيث عاطف، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995.

- ✓ مجموعة مؤلفين، تنسيق مروان قبلان، التحولات الاجتماعية في دول الخليج العربية: الهوية والقبيلة والتنمية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2018.
- ✓ محمد عبد أسعد فايز، مدخل إلى علم الاجتماع، دراسة نظرية في فهم المجتمع، منشورات دار الفيلص الثقافية، 1984.
- ✓ المختار الهراس و ادريس بنسعيد، التحولات الاجتماعية و الثقافية في البوادي المغربية. الرباط: منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، 2022.
- ✓ المساتي عادل، سوسولوجيا الدولة بالمغرب: إسهام جاك بيرك، تقديم أحمد بوجداد، سلسلة المعرفة الاجتماعية والسياسية، الطبعة الأولى، المغرب، 2010
- ✓ مهي سهيل المقدم، المجتمع القروي بين التقليدية والتحديث دراسة نظرية وميدانية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1995.
- ✓ ميري يمينه، "جرادة المدينة والمجتمع بعد إغلاق مناجم الفحم" في السوسولوجية المغربية المعاصرة، دراسات نظرية وميدانية، تنسيق يمينه ميري ومحمد عبد الخلقي، مختبر العلوم الاجتماعية والتحولات المجتمعية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش 2019.
- ✓ وزارة الداخلية، المديرية العامة للجماعات المحلية، مركز التوثيق للجماعات المحلية. الجماعات المحلية بالمغرب. الدار البيضاء، 1998.
- ❖ المجلات والجرائد
- ✓ عبد السلام بوهلال، دينامية الاقتصاد القروي ببلاد الكيف ، مجلة تيدغين للأبحاث الأمازيغية والتنمية، العدد 6، السنة الخامسة، 2017.
- ✓ عبد الغاني نهرو ، ياسين بوزيان، التحولات الاجتماعية والسياسية في المجتمع المغربي: لحظات رفع شعار الانتقال الديمقراطي، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، أكتوبر 2018.
- ✓ عبد الغني الدباغي ويوسف ايتخدجو ، محمد ميوسي ، " سياق التمدين والتخطيط الحضري بالمغرب"، مجلة التخطيط العمراني والمجالي، المجلد الثاني، العدد الخامس، ايلول/ سبتمبر 2020.
- ✓ عبد الوهاب الحبيب و تهامي ديبون، "التحولات الاجتماعية بالمغرب منطقة وزان نموذجا"، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 15 ، دجنبر 2021.
- ✓ فتيحة برك "دور المرأة الأمازيغية في الحفاظ على الثقافة الغذائية الأصيلة دراسة اثنوجرافية على إحدى الأسر الأمازيغية بمنطقة تاوقريت بولاية الشلف"، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 07، العدد 01، 2021.
- ✓ لطيفة طبال ، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة سعد دحلب البلدية (الجزائر) يونيو 2012.
- ✓ مجموعة مؤلفين، القطاع الفلاحي وإكراهات التنمية القروية بسهل الغرب، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، يونيو 2021

✓ محسن أموعسان، "الأراضي الجماعية وتحولات البادية المغربية: قراءة في المساهمات السوسولوجية عمار حمداش حول هوامش الغرب"، مجلة الاقتصاد والمجتمع، العدد الأول، يونيو 2022

✓ محمد برزوق، المدن العربية وجدلية الحداثة والبداءة، جريدة القدس العربي، عدد 18 شتنبر 2012.

✓ محمد سليمان عيسى، دراسة أولية لبعض خصائص الأسرة الريفية في الريف الساحلي للقطر العربي السوري، منشورات مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، المجلد الثاني، العدد الثاني، دمشق، 1979.

✓ ناصر السوسي، "المقترّب الانقسامي للمجتمع القروي بالمغرب : التحليل و الحدود (إنرست غيلنر نموذجاً)". المجلة الإلكترونية أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، يوليو 2013

❖ المواقع الإلكترونية

✓ أيوب المسعودي، الثقافة القروية وعائق الاندماج، <https://al3omk.com/492004.html>

✓ طارق المعروف، "بداءة المدينة"، الجريدة الإلكترونية جسر التواصل، 15 ديسمبر 2024، <https://jisrattawasol.ma/archives/126375>

✓ عبد الله عنتار، "من امتنانوت إلى مراكش : الأرض القاحلة"، الموقع الإلكتروني الحوار المتمدن- العدد: 5616 - 2017 / 8 / 21 - 09:52

✓ محمد بنجدي، نقلا عن عبد الله عبد الله، تقاليدنا البدوية.. والمدينة المسخ، المدونة الإلكترونية للجزيرة، <https://www.aljazeera.net/blogs،24/1/2019>

✓ مصطفى شاكري، "تزييف الدار البيضاء" .. مظاهر البداءة تزحف على العمران والإنسان، الجريدة الإلكترونية هيسبريس: الأربعاء 30 يناير 2019 - 15:15
https://www.hespress.com/public_author